

هشام شرابي ،

الجمر والرماد - ذكريات مثقف عربي

(دار الطبيعة ، بيروت ، ١٩٧٨)

« لا يعيش المرء حياته الشخصية كفرد فحسب ، بل يعيش أيضاً - عن وعي أو عن غير وعي ، حياة عصره وحياة معاصريه . »

ومن المؤكد ان هذا التصدير المقتبس من الرواية والمأخوذ من الذاكرة ، أو من النص الانجليزي يقصد منه الايحاء للقارئ بكيفية النظر الى منكرات الجمر والرماد ، أو ، على نحو أدق ، الى صاحب هذه المنكرات بوصفه مثقفا عربيا يريد لنا كقراء ان نتابع مسيرته الثقافية والحزبية والسياسية ، لكي نستكشف من خلالها حياة عصره ومعاصريه . وبذلك

لقد اختار هشام شرابي كتصدير لمنكراته عبارة مستقاة من رواية توماس مان « الجبل السحري » (١٩٢٤) ، حيث يقول الروائي الألماني - في معرض تقديمه وتقويمه الوصفي لشخصية الفتى هانز كاستورب* ، بطل الرواية ، ولحالته الخلقية والمناقبية ، غداة وصول المهندس هانز كاستورب اياه الى تلك المصححة الشهيرة في جبال الألب السويسرية ، في زيارة كان من المقرر لها ان تستغرق ثلاثة اسابيع ، لكن الزائر القادم من هامبورغ الى المصححة في دانوس امضى ٧ سنوات هناك يقول ما يلي :

« السفن التجارية العابرة للمحيطات » ، يأخذ في استطراده الشهير عن ماهية الزمن واجساس الانسان بسيلانه ومروره وديمومته وانسيابه وتوقفه وسرعته ، كما ان موضوع الزمن والرياضة العقلية التي يمارسها بعض نزلاء المصححة في استطراداتهم حول مفهوم الزمن والاحساس به وقياسه وابعاده النفسية وعلاقته الوثيقة بالمرض ومدته ، يؤلف الى جانب موضوع الموت والتحلل ، أو التاكل البيئي ، مجموعة من أبرز واهم الموضوعات التي تتناولها هذه الرواية في تشريحها النقدي للعقل الاوروبي وللحياة الاوروبية عشية اندلاع نيران الحرب الكونية الاولى .

* راجع الفصل الثاني من الطبعة الألمانية السادسة (دار فيشر للنشر) . فرانكفورت ١٩٦٢ ، ص ٣٠ .
وما تجدر ملاحظته في مستهل هذه المراجعة ان شرابي يحدثنا في منكراته عن عودته في مطلع ١٩٤٩ وبعد حصوله على شهادة الماجستير في الفلسفة ، على ظهر باخرة ايطالية من نيويورك الى بيروت . ثم نجد في الصفحة ١٧٩ من الجمرة والرماد . ان شرابي قد اصطحب معه كتاب « الجبل السحري » لتوماس مان . ومن الطريف ان بطل رواية الجبل السحري هانز كاستورب تعلم غداة اقامته الاولى في المصححة كيف يلتف ببطانية الصوف على شرفة المصححة فاصيح في عزلة كلية عن العالم ، وبينما هو يضع جانبا كتابه الملازم له على الدوام عن